سياق الحرب، وجرى تجسيدها بعد الحرب وبناء على نتائجها. ولكن المراكز الامبريالية اعتمدت هذه المرة استراتيجية للتنفيذ مختلفة، انعكست في منح الكيانات السياسية في المنطقة استقلالاً شكلياً، مع الدأب في العمل على إبقائها تابعة فعلاً لتلك المراكز. وكذلك، فقد سعت تلك المراكز إلى الحفاظ على واقع التفتت في العالم العربي، وبالتالي استمرار ضعفه وتخلفه، عبر تجميع هذه الدول العربية، الحديثة الصنع والاستقلال، في جامعة الدول العربية. وفي إطار هذه الاستراتيجية، قامت اسرائيل وجاء الاعتراف بها، لتشكل تهديداً مباشراً لذلك الاستقلال المهزوز الذي خُلِعَ على أقطار المنطقة.

واليوم، وبعد حرب تشرين الأول (اكتوبر) وما تلاها من مسارات سياسية، كان أبرزها المفاوضات على ما أسمي «التسوية السلمية»، والتي قادت إلى كامب ديفيد وصولاً إلى «المعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية»، يعود المركز الامبريالي الأول، واشنطن، ليطرح مشروعه الكبير الرامي إلى إنشاء تشكيل سياسي ــ عسكري في المنطقة، يكون برعاية الولايات المتحدة وقيادتها، وينضوي فيه عدد من الدول العربية الموالية للغرب، كما تنخرط فيه اسرائيل كجزء عضوي من الشرق الأوسط، له شرعية الوجود والبقاء والعمل. وهكذا، وفي مسار المفاوضات، خروجاً من الامم المتحدة ومجلس الأمن، ومروراً بـ «مؤتمر جنيف»، الذي لم يعمر طويلاً، وبالتالي لم يحقق شيئاً، وصولاً إلى «مبادرة السادات» وانتهاءً بالمعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية، انقلبت «التسوية السلمية»، على أرضية قراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨، إلى حلف عدواني في إطار المشروع الاميركي الجديد إزاء المنطقة والعالم، الذي عرف بـ «مبدأ كارتر»، والذي تبنته إدارة ريغان، على أن يتم تجسيده بوتيرة متسارعة. وعليه، فإنه إذا جازت هذه «التسوية»، على أرضية المشروع الاميركي العام للمنطقة، فإنما يعني ذلك تثبيت المرحلة الثالثة من بناء المشروع الصهيوني الخاص، عبر ترسيخ وجوده والاعتراف بشرعية قيامه وبقائه كما هو.

من هذا العرض السريع، ودون الدخول في التفاصيل المعروفة، يبدو واضحاً أن المشروع الصهيوني قد طرح على هامش المشاريع الامبريالية الكبرى إزاء المنطقة، وراح الشركاء فيه يبنونه بشكل استيطاني تراكمي، انطلاقاً من نقطة الصفر في العلاقة بين المستوطنين والأرض المعنية ــ فلسطين، وفي إطار استراتيجية تنفيذ المخططات الامبريالية الشاملة. فبعد أن ضمنت الحركة الصهيونية مشاركة هذا المركز الامبريالي، أو ذاك، في مشروعها، انحصر نشاطها داخل ذلك المركز في صياغة استراتيجية تنفيذ مشروعه العام، بحيث تضع المصالح الصهيونية المرحلية في قلب تلك الاستراتيجية. وهذا النشاط هو الذي يسمى عادة «اللوبي الصهيوني». هكذا حصل في لندن قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، واستطراداً، لفترة طويلة إبان الانتداب البريطاني في فلسطين. ثم انتقل مركز النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة، بقرار اتخذ في «مؤتمر بلتمور»، عام ١٩٤٢، ولا يزال يقبع هناك إلى يومنا هذا، حيث طور شبكة علاقاته، كذلك نهجه وأساليب عمله، فأصبحت الولايات المتحدة تشكل «البلد الأم» للكيان الصهيوني الاستيطاني.

ونظراً لطبيعة هذه العلاقة بين المشروع الصهيوني الابن وهذا المشروع الامبريالي